الفصل الحادي عشر

منظمات الأعمال والأخلاقيات البيئية

Business and Environmental Ethics
W. Michael Hoffman

يزعم W. Michael Hoffman أستاذ الفلسفة بجامعة Bentley بأن منظمات الأعمال عليها مسئولية أخلاقية تجاه البيئة تذهب إلي أبعد من مجرد إطاعة قوانين البيئة ، وأنها يجب أن تشارك بحيوية وروح إبتكارية في حل مشكلاتنا البيئية . للاطمئنان ، يمكن أن تسير الربحية وحماية البيئة جنبا إلي جنب . ومع ذلك ، يفترض Hoffman وجود خطر في دعوة منظمات الأعمال إلي القضية البيئية بصفة فردية علي أساس المصلحة الذاتية ، كما هو الحال في وجود خطر في تشجيع منظمات الأعمال علي التصرف الأخلاقي فقط انطلاقاً من أن الأخلاق الجيدة تعني دوائر أعمال جيدة . علي الرغم من أن Hoffman يوافق علي أن الفهم المستنير للمصلحة الذاتية للإنسان يمكن أن تبرر السياسات التي تحافظ علي البيئة ، وتحميها ، ومع ذلك، نجد Hoffman يدافع عن التركيز على المنهج البيولوجي ، بدلاً من التركيز على المنهج البشري إلي الأخلاقيات البيئية .

أشياء تؤخذ في الاعتبار

1- يؤكد Norman Bowie علي نقطتين حول منظمات الأعمال والبيئة . ما هما ؟
2- يكتب Hoffman بأن Bowie يستجيب لموقفين متناقضين . اشرح ما هما ؟
3- ما هي استجابة Hoffman للزعم بأن العبء الحقيقي لإحداث تغيير في البيئة يقع علي عاتق المستهلكين وليس الشركات ؟
4- اشرح لماذا Hoffman يعارض تأسيس أخلاقيات منظمات الأعمال علي فكرة أن " الأخلاق الجيدة تعني دوائر أعمال جيدة " .
5- ما الفرق بين التركيز علي المنهج البيولوجي ، والتركيز علي منهج الإنسان إلي أخلاقيات البيئة ؟ ما المسألة التي أثارها مثل " الرجل الأخير " .

لقد قال Albert Gore ، " الحقيقة في أننا نواجه أزمة بيئية غير مسبوقة في العصور التاريخية لم تعد موضوعاً قابلاً لأي جدل في الاعتراف به " ... أن المشكلة الآن ليست في وجود أزمة ، ولكن في كيف سوف نعالجها . سوف يكون هذا هو النقطة المحورية في حوار السياسة العامة ، والذي يتطلب المشاركة الكاملة من جانب عنصرين مؤثرين في الحوار – منظمات الأعمال والحكومة . يجب أن يوضح الحوار مثل هذه الأسئلة المحورية : (1) ما هو الالتزام الذي علي منظمات الأعمال للمساعدة علي تناول أزمتنا البيئية ؟ (2) ما العلاقة الصحيحة بين منظمات الأعمال والحكومة ، وخاصة عندما نواجه مشكلة اجتماعية في جسامة الأزمة البيئية ؟ (3) ما الأساس المنطقي الذي يجب استخدامه لاتخاذ وتبرير القرارات التي تحمي البيئة ؟ لم تجب بعد الشركات والمجتمع علي هذه الأسئلة إجابات مقنعة . في القسم الأول من هذا الفصل ، سوف أتناول بإيجاز السؤالين الأوليين . في القسمين الأخيرين سوف أقول القليل من الأشياء عن السؤال الثالث .

القسم الأول

قد قدم Norman Bowie بعض الإجابات علي السؤالين الأوليين .

– ليس علي منظمات الأعمال أية التزامات لحماية البيئة أكثر ، وفوق ما يفرضه القانون ؛ ومع ذلك ، عليها التزام أخلاقي لتفادي التدخل في الميدان السياسي لإضعاف أو هزيمة التشريعات البيئية[1] .

أنني لا أتفق مع Bowie حول السببين .

نقطة Bowie الأولي تنسب إلي Friedman [2] إن المسئولية الاجتماعية التي تقع علي عاتق منظمات الأعمال تتمثل في إنتاج السلع

والخدمات ، وتحقيق الأرباح لمساهميها ، أثناء مبارياتها طبقا لقواعد الملعب علـــي مستوي السوق . تضع الحكومات والمحاكم هذه القواعد ، بما في ذلك تلـــك التـــي تحمـــي البيئة . القيام بأكثر مما تتطلبه هذه القواعد ، طبقا لهذا الوضـــع يعتـــبر غير عادل بالنسبة لمنظمات الأعمال . لكي تؤدي كل شركة مهمتها الصحيحة يجب أن تستجيب للسوق ، وأن تعمل في نفس الميدان الذي يعمل فيه منافسيها . وكما قال Bowie :

- النصيحة هنا للمساعدة علي حل مشكلات المجتمع (بما في ذلك استنزاف الموارد الطبيعية والتلوث بشكل طلبات مستحيلة علي الشركات ، لأنها تتجاهل علي المستوي العملي تأثير مثل هذه الأنشطة علي الأرباح [3] .

استناداً إلي ادعاءات Bowie ، إذا لم يكن المستهلكون علي استعداد لـــتحمل تكلفـــة واستخدام المنتجات والإجراءات الصديقة للبيئة ، حينئذ تكون منظمات الأعمال غير مسئولة عن الاستجابة أو تصحيح أخطاء السوق .

تـــنطلق النقطة الثانية التي أثارها Bowie بصورة جذرية من موقفه التقلـــيدي حيـــث يدعي أنه لا ينبغي علي منظمات الأعمال أن تمارس التأثير بطـــريقة أو بأخـــرى ضـــد الحكومات في سعيها لوضع التشريعات البيئية . الاقتباس من Bowie :

- يحـــاول الكثـــير من منظمات الأعمال صنع الكعكة الخاصة بها وأكلها أيضا ، إنها تفترض بأن وظيفة الحكومات تصحيح فشل السوق ، ولذلك تستخدم تأثيرها وأموالها لهزيمة أو تمييع التشريعات التي تهدف إلي المحافظة علي البيئة وحمايتها [4] .

يوصـــي Bowie بهـــذا الاقتـــناع فـــي ممارسة التأثير علي إصدار التشـــريعات فقـــط فـــي حالة القوانين البيئية . إنه مهتم بصفة خاصة ، بأن السياســـيين يقظـــون لمسألة إعادة انتخابهم ، ومن ثم يترددون كثيراً لتمرير التشـــريعات البيئـــية التي يترتب عليها تكاليف ضخمة مباشرة ، وفي معظم

الحـــالات مـــزايا طويلـــة الأجـــل جداً . يجعل هذا التزام منظمات الأعمال بالإحجام عن معارضة مثل هذه التشريعات مسألة مبررة بصفة خاصة .

أننـــي أســـتطيع أن أفهم لماذا يفترض Bowie هذه النقاط . إنه يبدو مســـتجيباً لمنهجين علي طرفي نقيض ، كل منهما غير ملائم . دعني أوضح هذا التناقض بسرد القصتين التاليتين

لقـــد حكـــي هذه القصة إلي الأستاذ George Cabot lodge أستاذ إدارة الأعمـــال في جامعة هارفارد ، صديق له يمتلك شركة لصناعة الورق تقـــع علي ضفتي مجري نهر New England . في " يوم الأرض " الأول فـــي عـــام 1970 ، كان صديقه مقتنعاً بسبب حماية البيئة . بدأ مصمماً علي إيقـــاف الصـــرف الصناعي الملوث من شركته إلي مجري النهر ، وسار في طريق وضع إيمانه الجديد موضع التنفيذ . فيما بعد علم Lodge بأن صديقه قـــد أفلس ، ولذلك ذهب ليتحرى الحقيقة . انطلاقا من نقائه الأخلاقي ، أخبر الصـــديق Lodge أنـــه قد أنفق الملايين لإيقاف التلوث ، ولذلك لم يعد قادراً علـــى منافســـة الشـــركات الأخرى التي لم تسر علي منهجه . لقد تدهورت اقتصـــاديات الشـــركة ، فقـــد أكثر من 500 عامل وظائفهم ، وبقي المجري ملوثاً.

وعـــندما ســـأل Lodge لماذا لم يطلب صديقه المساعدة من حكومة الولايـــة أو الحكومـــة الفيدرالـــية لتطبيق المعايير الصارمة علي كل الأفراد (وكـــل الشـــركات) . أجاب الرجل بأن ذلك ليس الطريق التي تسير فيه " أمـــريكا " ، وأن الحكومـــة لا ينبغـــي أن تتدخل في أنشطة الشركات ، وأن المشـــروع الخاص يستطيع أن يؤدي وظائفه بمفرده . وفي الواقع كان يشعر بأنهـــا المســـئولية الاجتماعية لمنظمات الأعمال التي تحل المشكلات البيئية ، ولذلك كان فخوراً ، بأنه قد قدم مثالاً للآخرين لكي يتبعوه .

تحمل القصة الثانية النقيض الآخر . منذ سنوات مضت أجرى برنامج يطلق عليه " ستون دقيقة " مقابلة مع مدير شركة كيميائية والتي كانت تلقي بنفاياتها في نهر في شمال مدينة " نيويورك " . في ذلك الوقت ، كان إلقاء النفايات في النهر قانونيا ، رغم وجود مشروع قانون بمنعه ، كان يتأرجح في الكونجرس . أشار المدير بأنه كان يأمل أن يصدر القانون ، وأنه كان سوف يدعمه بالتأكيد كمواطن مسئول . ومع ذلك ، قال أيضا ، أنه وافق علي جهود شركته لهزيمة مشروع القانون ، وعلي سياسة الشركة في إلقاء المخلفات والصرف الصناعي في مجري النهر . وعموما ، أليس الدور الصحيح لمنظمات الأعمال أن تحقق أقصي أرباح ممكنة داخل الحدود القانونية؟ أن إصدار القوانين – وضع قواعد المباراة – هو دور الحكومة وليس منظمات الأعمال . بينما كان يرتدي قبعة شركته كان عليه واجب يؤديه ، حتى إذا كان ذلك يعني شيئا ما يعارضه بشده كمواطن عادي .

تكشف تلك القصتين عن إجابات غير صحيحة علي الأسئلة التي طرحت سابقاً ، حيث يأتي البرهان من حقيقة أنه لم يصبح مجري New England أو نهر مدينة " نيويورك " أكثر نظافة . تتجه نقاط Bowie إلي الجمع بين النقيضين . ولكن لتفادي هذا التضاد ، كما فعل Bowie ، يغفل الفشل الحقيقي الإداري والأخلاقي في القصتين . علي الرغم من أن صاحب شركة الورق ، ومدير الشركة الكيميائية لها آراء مختلفة جذرياً عن مسئوليات منظمات الأعمال الأخلاقية ، فإن كلاهما رأي منظمات الأعمال والحكومة يؤديان أدواراً منفصلة كل منهما عن الأخرى ، ولم يشعر أي واحد منهما بأنه ينبغي علي منظمات الأعمال أن تتعاون مع الحكومة لحل المشكلات البيئية .

إذا كانت حركة أخلاقيات منظمات الأعمال قد قادتنا إلي مكان ما في خلال الخمس عشرة سنة الماضية ، فإنه الوضع الذي تكون فيه منظمات الأعمال مسئولة أخلاقيا في أن تصبح شريك أكثر نشاطاً في التعامل مع القضايا الاجتماعية . يجب علي منظمات الأعمال أن تجد الطرق المبتكرة لكي تصبح جزءاً من الحل بدلاً من أن تكون جزءاً من المشكلة . كما يفترض Ken Goodpaster وآخرون في أن الشركات يمكنها ويجب أن تنمي ضميرها – وهذا يتضمن الضمير البيني[5] . لا ينبغي أن تعزل الشركات نفسها عن المشاركة في حل مشكلاتنا البيئية ، تاركين الحل للآخرين لكي يجدوا الإجابات ويخبرونها بما لا ينبغي عليها عمله .

لدي الشركات ما هو خاص بها من المعرفة ، الخبرة ، والموارد ، والذي يعتبر ذا قيمة عالية في التعامل مع الأزمة البيئية . يحتاج المجتمع إلي الرؤية والتعاون الأخلاقي من كل أعضائه لحل مشكلاته الأكثر إلحاحاً ، وخاصة تلك التي تتضمن بقاء كوكبنا ذاته . يجب أن تعمل منظمات الأعمال مع الحكومة وصولاً إلي الحلول الملائمة . يجب أن تعمل علي التأثير علي المشرعين من أجل قوانين بيئية جيدة ، وضد القوانين السيئة ، وليس عزل نفسها بعيداً عن العملية التشريعية كما يقترح Bowie . لا ينبغي أن يكون وهماً أخلاقيا ، وتحاول أن تذهب إليه بمفردها ، كما حاول أن يفعل صاحب شركة الورق ، ولا ينبغي أن يكون التصرف غير موثوق به أخلاقيا وتحارب ضد ما تعتقد الشركة أنه سياسة سليمة بيئيا كما فعل مدير شركة الكيماويات . بدلاً من ذلك ، يجب أن تطور منظمات الأعمال وتثبت القيادة الأخلاقية .

توجد أمثلة لشركات تثبت مثل هذه القيادة ، حتى عندما يكون في ذلك مخاطرة لمصلحتها الذاتية . في مجال القيادة الأخلاقية البيئية ، يجب أن

يذكر المرء شركة Dupont التي أوقف منتجاتها من مادة "الفيريون Freon" والتـــي كان حجم أعمالها في هذا النشاط 750 مليون دولار ، بسبب تأثيرات مادة الفيريون السلبية المحتملة علي طبقة الأوزون . ولكن قد يجادل البعض، كما يفعل Bowie أن العبء الحقيقي لإحداث تغيير في البيئة يقع علي عاتق المســتهلك ، ولــيس علـــي الشركات . إذا كنا نحن كمستهلكين علي استعداد لقــبول الضرر الذي يلحق بالبيئة بتدعيم المنتجات غير الصديقة للبيئة ، فلن يكـــون هـــناك التزام علي الشركات للتغير ، عندما تكون مطيعة للقانون . قد يكون ما هو أكثر من ذلك ، كما يذهب الافتراض عندما تخاطر الشركات أو تضحي بالأرباح وتطيع القانون .

لا يجـــب أن تـــترك الأنشـــطة التي تؤثر علي البيئة . لتقديرنا نحن كمســـتهلكين فـــي أن نتســـامح أو نقبل . إن القيام بهذا سوف يعني استخدام طـــريقة تفكـــير تعـــتمد علي السوق لاتخاذ قرار في صالح الموضوع والذي يجـــب أن يـــتم تحديـــد القـــرار الخاص به استناداً إلي مسئولياتنا الأخلاقية كأعضاء في تجمّع اجتماعي .

الأكـــثر مـــن هـــذا ، لا يصـــنع المستهلكون المنتجات ، أو يوفرون الخدمـــات ، أو يصـــدرون التشـــريعات التي يمكن أن تكون صديقة أو غير صـــديقة للبيئة . إن جهود المقاطعات الأساسية التأثير علي التشريعات مهمة جـــداً ، ولكنـــنا نحـــتاج أيضا إلي قيادة وتعاون متبادل من منظمات الأعمال والحكومـــة في وضع سياسة بيئية أخلاقية . وحتى Bowie يعترف بأنه ربما يكـــون علـــي مـــنظمات الأعمال أن تتحمل مسئولية تعليم الجمهور وتدعيم الســـلوك المسئول بيئياً . ولكنني اقترح بأن تذهب قيادة الشركة الأخلاقية إلي ما هو أبعد من حملات تعليم الجمهور . إنها تتطلب رؤية أخلاقية ، شجاعة، وتشـــتمل علي المخاطرة والتضحية . أنني اعتقد بأن منظمات الأعمال قادرة

علـــي مـــثل هـــذه التحديات . البعض منخرط بالفعل في مثل هذا التحدي . بالتأكـــيد يجـــب ألا تفعل منظمات الأعمال أي شئ يقل عن تشجيع مثل هذه القيادة. أنني أشعر بأن الأخلاق تتطلب مثل هذه القيادة .

القسم الثاني

إذا كـــان لـــدي منظمات الأعمال مسئولية تجاه البيئة تصل إلي ما وراء طاعة قـــانون البيـــئة ، فما هو المعيار الذي يجب استخدامه لتوجيه وتبرير مثل هذا السلوك ؟ تتخذ كثير من الشركات قرارات صديقة للبيئة . حيث يرون أن اتخاذ قـــرارات بهذا التوجه تكون مربحة . إن اللون الأخضر بالنسبة لهم يمثل الفأل الحســـن . هـــذا المنطق في التفكير يستخدمه علماء البيئة كاستراتيجية لتشجيع المزيد من منظمات الأعمال لكي تصبح ذات ضمير بيئي إن معهد مراقبة العالم World Watch Institute المحـــترم ، أصـــدر مقالاً لأحد الباحثين الكبار به تحـــت عـــنوان ترجمته " العمل الحسن من خلال العمل الطيب " والذي أعطي أمثلة عديدة للشركات التي تحسن إيراداتها عن طريق تحسين البيئة . أن المقال انتهـــي بـــالقول بأن " لحسن الحظ منظمات الأعمال التي تعمل للمحافظة علي البيئة تستطيع أيضا أن تجني أرباحاً من وراء ذلك[6]".

فـــي فـــيلم وثائقـــي حديث " لهيئة الإذاعة العامة " بعنوان ترجمته " اكتســـب الكرة الأرضية " حيث يصور ويفسر ما يطلق عليه " المذهب البيئي الجديـــد " والـــذي يحث الشركات علي أداء أشياء من أجل البيئة باللجوء إلي مصـــلحتها الذاتـــية . يعرض " صندوق الدفاع عن البيئة " مشروعات أعمال زراعـــية مشجعة في " جنوب كاليفورنيا " للري بصورة أكثر كفاءة ، وتحقيق أربـــاح نتـــيجة بيع المياه المتوفرة إلي مدينة Los Angeles . سوف يساعد هـــذا بـــدوره على إنقاذ Mono Lake . يعرض أيضا " صندوق الدفاع عن

البيـئة " محاولـته التأثـير علي تشريعات البيئة من أجل التجارة في حصة الانـبعاثات بمـا سوف يسمح لشركات المرافق العامة التي تكون حصصها الانبعاثـية أقل من المعدلات المسموح بها أن تبيع " حقوقها في التلوث " إلي تلـك الشركات التي تزيد إنبعاثاتها عن المعدلات المسموح بها . هذا من أجل تخفـيض الأمطـار الحمضية . ومن ثم ، فإن الاستراتيجية المتكررة لعلماء البيـئة هي في دفع الشركات للمساعدة علي حل المشكلات البيئية ، وذلك من خلال اكتشاف طريق مريحة أو أقل تكلفة فعلية بالنسبة لها لكي تشارك . إن العلمـاء يشـعرون بأن التوفيق وليس المواجهة الطريق الوحيد لإنقاذ كوكب الأرض . وباسـتخدام أدوات نظام المشروع الحر ، فإنهم يبحثون عن حلول المكسب للجميع ، معتقدين بأن مثل هذه الحلول ضرورية لأخذنا أبعد مما كنا قادرين علي تحقيقه حتى الآن .

أننـي لا أعترض علي مثل هذه الجهود ، بل إنه في معظم الحالات أفكـر في أنه يجب تشجيعها . بالتأكيد ليس هناك ما هو خطأ ، لجمع الأموال أثـناء حمايـة البيئة ، بالضبط ، كما أنه ليس هناك خطأ في أن يشعر المرء بالـراحة والاطمئـنان عـندما يؤدي المرء واجبه . ولكن إذا كانت منظمات الأعمـال تتبنى أو تشجع علي تبنى الرأي القائل بأن جودة البيئة تعني جودة الأعمـال ، حينـئذ أعـتقد بأن هذا يحرك خطراً علي حركة أخلاق البيئة – يماثل تماماً الخطر علي حركة أخلاق الأعمال .

كما نعرف جميعاً ، القول بأن الأخلاق الجيدة تعني الأعمال الجيدة قد تكـرر كثـيراً وكثـيراً علـي ألسنة رؤساء الشركات التنفيذيين لتبرير بناء الأخـلاق فـي شـركاتهم ، وعلي ألسنة خبراء أخلاقيات منظمات الأعمال للحصـول علـي عمـلاء جدد . علي سبيل المثال ، جاء في تقرير " المائدة المستديرة " حول أخلاقيات الشركات :

- يجب علي مجتمع الشركات أن تستمر في تلقيح وتجديد جهودها لتحسين الأداء وإدارة التغيير بفعالية من خلال برامج أخلاقيات الشركات ..... إن أخلاقيات الشركة هي المفتاح الاستراتيجي إلي البقاء والربحية في هذا العصر بما يكتنفه من منافسة شرسة في الاقتصاد العالمي[7] .

وبالمناسبة ، يذكر Kenneth Blanchard and Norman Vincent بحروف حمراء كبيرة علي ظهر كتابهما الذي ترجمة عنوانه بأن " الاستقامة مربحة ! لا تحاول أن تغش لكي تكسب " يعد التعريف بالكتاب علي الغلاف الداخلي بأن الكتاب يوفر " استراتيجية أخلاقية عملية ، من الصعب النيل منها ، والتي تبني الأرباح ، الإنتاجية والنجاح طويل الأجل " . من ذلك الذي سوف يخمن بأن أخلاقيات منظمات الأعمال يمكن أن تحقق كل ذلك . بهذه الطرق ، تم تسويق أخلاقيات منظمات الأعمال بصفتها الدواء الأحدث والإنجح لأوجاع الشركات .

هل القول بأن الأخلاق الجيدة تعني منظمات الأعمال الجيدة قول صحيح بالنسبة لأخلاقيات منظمات الأعمال ؟ اعتقد " لا " . أحد الأشياء إن دراسة الأخلاق قد علمتنا منذ ما يزيد علي 2500 عاماً أنك لكي تكون أخلاقياً ، قد يطلب منا في مناسبات معينة أن نضع مصالح الآخرين في الترتيب الذي يسبق مصالحنا الذاتية أو عل الأقل يساويه في المرتبة . يتضمن هذا أن الشيء الأخلاقي الذي تفعله ، الشيء الصحيح أخلاقيا ، قد لا يكون ضمن مصالحنا الذاتية . ماذا يحدث عندما يكون الشيء الصحيح ليس هو الأفضل بالنسبة لمشروع الأعمال ؟

علي الرغم من أنه في معظم الحالات أن الأخلاق الجيدة قد تعني الأعمال الجيدة ، فإنه لا ينبغي القول بأنها السبب الوحيد أو حتى الأساسي لإدارة الأعمال أخلاقياً . عندما تأتي العواصف عندما تتصارع الأخلاق مع مصالح الشركة ، فإن أي برنامج أخلاقي لم يكن قد أخذ في اعتباره بالفعل

هـذه الإمكانية مصيره الفشل ، لأنه يلغي المنطق السليم من البرنامج ذاته . يجـب أن ندعم أخلاقيات منظمات الأعمال ، ليس لأن الأخلاق الجيدة تعني مـنظمات الأعمـال جـيدة ، ولكن لأننا مطالبون أخلاقيا بتبني وجهة النظر الأخلاقـية فـي كـل تعاملاتنا – ومنظمات الأعمال ليس استثناءً . يجب أن نكون جاهزين في منظمات الأعمال ، كما في كل الواجبات الإنسانية الأخرى أن ندفع تكاليف السلوك الأخلاقي .

يوجـد نفـس الحظر علي الحركة البيئية مع الشركات التي تختار أو تلجـأ إلـي أن تكـون ودودة بيئياً ، علي أساس أن يكون ذلك في صالحها . هـناك خطـر المشاركة في الحركة الصحيحة للأسباب الخاطئة . ولكن ماذا يعني انضمام شركات الأعمال لأسباب ليست هي الأسباب الصحيحة ، طالما أنها تتعاون ؟ بالطبع يعني الكثير ، عندما تعتقد منظمات الأعمال أو تدفع إلي الاعتقاد بأن عليها واجباً ؛ فقط أن تكون واعية بيئياً ، في تلك الحالات حيث مـثل هـذه الإجراءات لا تتطلب تضحية ، أو تحقق بالفعل أرباحاً . وأن ما أخشـاه أن يكـون هـذا بالضبط ما يحدث . أنني افترض أنه لا يهم إذا كان تعاون منظمات الأعمال بيئياً كان مطلوباً فقط في تلك الحالات التي كانت في صـالح مـنظمات الأعمال ذاتها . ولكن هذا بالتأكيد ليس الحالة ، ما لم يبدأ المـرء أن يصل حقيقة ويتحدث عن ذلك المفهوم غير المبلور حول المصلحة الذاتية طويلة الأجل . الأكثر من هذا ، أنني أشك بأن المصالح الذاتية طويلة الأجـل هـي التي تضعها في اعتبارها الشركات أو اختصاصي البيئة الجدد عند استخدامهم المصلحة الذاتية كسبب للإجراء البيئي .

إننـي لا أقول بأنه ينبغي أن نلغي المحاولات لجذب الشركات إلي أن تكون أخلاقية سواء بيئياً ، أو بطرق أخرى ، بالإشارة إلي الفرص وتوفيرها حيـث الأخلاقـيات الجيدة تعني الأعمال الجيدة . هناك العديد من المجالات

حيـث تتلاءم مثل هذه المحاولات بصورة لافتة في كل من حركات أخلاقيات مـنظمات الأعمال وأيضا الأخلاقيات البيئية . ولكن يجب أن نكون حريصين علي الا نلقي بهذا علي أنه الخطوط الإرشادية الصحيحة للمسئولية الأخلاقية لمـنظمات الأعمال . لأنه عندما يكتشف أن الكثير من الإجراءات الأخلاقية ليسـت بالضـرورة جـيدة لصالح الأعمال ، علي الأقل في المدى القصير ، حينـئذ سوف يصاب الأساس الذي بني عليه مفهوم المصلحة الذاتية بالتصدع أخلاقيا ، وسوف ينظر إلي كل من الحركتين الأخلاقيتين (البيئة ، ومنظمات الأعمال) علي أنها ضحلة وخادعة .

القسم الثالث

ما هو المنطق السليم بالنسبة لتحمل منظمات الأعمال المسئولية تجاه البيئة ؟ أقـل القليل يتمثل في الإحجام عن أن تكون سببا أو تمنع الأسباب التي تؤدي إلـي إحداث أضرار غير مبررة ، لأن الفشل في فعل هذا سوف ينتهك حقوقاً أخلاقـية مـا كـان يجب أن تتعرض إلي الضرر . يوجد بالطبع الكثير من الجـدل حـول أنـواع الأضـرار التي تعتبر بحق غير جائزة بسبب صراع الحقـوق و الأسـئلة حول ما إذا كانت بعض الأضرار تعادل فوائد معينة : علـي سبيل المثال ، يستخدم Norm Bowie مبدأ الضرر ، ولكنه يزعم بأن منظمات الأعمال لا تنتهكه ما دامت تطيع قانون البيئة . علي الجانب الآخر، يجـاد Robert Frederick بقـناعة ، بأن مبدأ الضرر يتطلب أخلاقيا من مـنظمات الأعمـال أن تجد الطرق اللازمة لمنع أضرار معينة نتيجة بعض تصرفاتها ، حتى إذا لم يكن في مثل هذه الأضرار انتهاك لقانون البيئة[8] .

ومـــع ذلـــك ، يأتي تحليل Frederick لمبدأ الضرر استناداً إلي أن الضـــرر ينشـــأ من الإنسان وانتهاك حقوق الإنسان . حتى عندما يلمّح إلي إمكانـــية الالتزام الأخلاقي الممكن لحماية البيئة عندما لا يكون هناك شخص مـــا أحدث ضرراً غير مبرر ، فإنه يفعل هذا مفترضاً بأننا كبشر نهتم بما له قـــيمة بالنســـبة لنا . يتمثل هذا بالضبط في المحافظة علي الموقف الإنساني لأخلاقـــيات البيئة والتي تدعي أن المخلوقات البشرية فقط هي التي لها حقوق أو مواقـــف أخلاقـــية ، لأن المخلوقـــات البشـــرية فقط هي التي تتمتع بقيمة الغريـــزة . قد يكون علينا واجبات بالنسبة للأشياء غير البشرية (الأشجار ، الـــبحار ، الطيور) ولكن فقط عندما تكون هذه الواجبات مشتقة من الواجبات التي نلتزم بها تجاه المخلوقات البشرية . ليس للأشياء غير البشرية قيمة أكثر مما يعطيها لها الإنسان .

يتعارض مثل هذا الموقف مع وجهة النظر المحايدة لأخلاقيات البيئة والتـــي تقـــول بأن الأشياء الطبيعية بخلاف المخلوقات البشرية هي ذات قيمة فـــي ذاتها ، ومن ثم لها موقف أخلاقي . يّدخِل بعض علماء البيئة المحايدين بعض الحيوانات الأخرى الحساسة في إطار استحقاقها للاعتبارات الأخلاقية. آخـــرون يضـــمنون كل الأشياء الحية أو التي تشكل جزءاً متكاملاً مع النظام البيئـــي . يطلـــق علي وجهة النظر الأخيرة أحيانا أخلاق البيئة ذات التركيز البيولوجـــي ، فـــي مقابل وجهة النظر ذات التركيز البشري ، التي تنظر إلي كـــل الحقـــوق الأخلاقية في ضوء المخلوقات البشرية ومصالحها الخاصة . يصف البعض هاتين النظرتين بالعمق البيئي في مقابل الضحالة البيئية .

الأدبـــيات حـــول هاتيـــن الموقفيـــن ضخمة والجدل مستمر . يذهب الصـــراع بيـــنهما إلـــي قلب الأخلاق البيئية ، وإلي جوهر وضع السياسات البيئـــية، وإلـــي إدراكنا للواجبات الأخلاقية نحو البيئة ، بما في ذلك منظمات

الأعمـــال . أنني أدعم بقوة وجهة النظر التي تركز علي المدخل البيولوجي . وعلـــي الرغم من هذا ليس المقام المناسب لمحاولة مناقشته بصورة ملائمة ، دعنا نكشف عنه الغطاء للحظة .

قـــد تذهـــب ترجمة مثال " الرجل الأخير[9] " في رؤية R.Routley إلـــي شـــئ ما كهذا: لنفرض أنك كنت الرجل الأخير الباقي علي قيد الحياة ، وإنـــك ســـتموت حـــالاً متســـمماً بالغـــبار الذري ، حيث قد مات كل البشر والحـــيوانات الحساسة من قبلك . لنفرض أيضا أنه في مقدورك أن تدمر كل الحياة الباقية أو أن تجعلها أكثر بساطة ، حيث الشجرة الأخيرة التي يمكن أن تستمر في الإزهار والتكاثر إذا تركت بمفردها . الأكثر من ذلك ، أنك سوف لا تعانـــي إذا لـــم تحطمهـــا . هل سوف تكون قد قمت بأي عمل خاطئ إذا قطعـــتها مـــن جذورها ؟ سوف تقول وجهة النظر البيئية العميقة : " نعم " ، لأنك سوف تكون محطماً لشيء ما له قيمة في ذاته وبذاته ، ومن ثم ، تجعل العالم مكاناً موحشاً .

قـــد يـــثور جدل بأن السبب الوحيد الذي تجعل الشجرة ذات قـــيمة ، لأن البشـــر بصفة عامة يجدون الشجر قيماً سواء جمالياً أو عملياً ، بـــدلاً من الذرة وجزيئاتها إذا تغيرت الأشجار من أماكنها ووضعها الحالي . المســـألة هـــنا ، إذا مـــا كانت الشجرة لها قيمة فقط في علاقتها بالمخلوقات البشرية ، أو إذا ما كانت لها قيمة مستحقة من اعتبارات أخلاقية جوهرية في ذاتها وفي وجودها الحالي . تتبنى وجهة النظر ذات التركيز البيولوجي ، أنه عندما نجد شيئا ما خاطئاً في تدمير الشجرة ، كما يجب أن نفعل ، فإن تفسير هـــذا السلوك يرجع إلي أننا نستجيب إلي قيمة غريزية في الشيء الطبيعي ، وليس إلي القيمة التي نعطيها له . هذه وجهة نظر تجادل ضد أخلاقيات البيئة

التـــي تركـــز فقـــط علي الإنسان وتحثنا علي توجيه التزاماتنا الأخلاقية تبعا لذلك.

لماذا يجب أن يعتقد المرء بأن الأشياء الحية غير البشرية أو الأشياء الطبيعية والتي تشكل جزءاً متكاملاً للنظام البيئي لها قيمة جوهرية في ذاتها؟ يمكـــن أن يستجيب المرء إلي هذا السؤال بالإشارة إلي الضعف والمشكلات الخطيرة في التعصب البشري[10] . إن الاستجابات الأكثر اكتمالاً ترسم إطاراً للمفاهـــيم والمعـــتقدات ، والتـــي تقدم صورة متماسكة عن وجهة النظر ذات التركـــيز البيولوجي مع المخلوقات البشرية كجزء من نظام قيم أكثر شمولية ..... في التحليل الأخير ، يتم تبنى مذهب التركيز البيولوجي البيئي والذي لا يعـــتمد علي إذا ما كان ينظر إليه لتوفير وجهة نظر أكثر عمقاً ، وأكثر ثراءً وأكثر إجباراً أخلاقيا من طبيعة الأشياء.

إذا كـــان الموقـــف البيئـــي الأعمـــق صحيحاً ، إذن يجب أن تظهر انعكاســـاته في الحركة البيئية . لسوء الحظ ، في الغالب الأعم ، لا اعتقد بأن هـــذا قـــائم ، وأن هـــناك ثمنا يدفع لعدم تطبيق ذلك . الأكثر من هذا ، أنني أخشـــى حتى في أولئك الذين يعتقدون في التركيز البيولوجي أنهم يستخدمون لغـــة التركـــيز علـــي المخلوقات البشرية ، ومن ثم تأتي استراتيجياتهم لكي يدخِلـــون مـــنظمات الأعمال والأطراف المؤثرة الأخرى في حركة التركيز البشري ، لأنهم يعتقدون بأنهم سوف لا ينجحون بخلاف ذلك . إنهم يخشون، ولأســـباب وجـــيهة بدون شك ، أن الجزء الأكبر من المجتمع ، بما في ذلك مـــنظمات الأعمـــال ، ســـوف لا تتحرك بدون حجج تتعلق بالقيمة والحقوق الجوهـــرية للأشـــياء الطبيعـــية . إنه من الصعوبة بمكان أن تجعل منظمات الأعمـــال تعترف وتتصرف استناداً إلي مسئولياتها تجاه المخلوقات البشرية ، والأشياء ذات الاهتمام الإنساني .....

إن القلــق الكبير في استخدام وجهة نظر التركيز البشري في صياغة السياســة والقــانون ، أن الطبيعة غير البشرية سوف لا تحظى بالاعتبارات الأخلاقــية التي تستحقها . ومع ذلك ، قد يثور جدل بأن اللجوء إلي مصالح وحقوق الكائنات البشرية ، سوف يؤدي في معظم الحالات إلي حماية الطبيعة ككــل . بمعني ، إذا كنا قلقين حول منطقة برية ، فإننا نستطيع أن نقيم الحجة بــأن بقاءهــا سوف يكون مهماً للأجيال القادمة ، والذين بدون ذلك ، سوف يحــرمون من المعرفة والاتصال بحياتها البرية المتميزة . أننا نستطيع أيضا أن ندعــي أهميتها إلي الإحساس الجمالي بالنسبة لأفراد معينين ، أو أنه في حالة إزالتها بعض أماكن الترفيه الأخرى سوف تصبح شديدة الزحام .

في معظم الحالات ، ما يمثل أفضل المصالح للمخلوقات البشرية ، قد يكون أيضا علي نفس الدرجة من الأفضلية لباقي عناصر الطبيعة . وعموماً، نحــن نعــيش الآن أزمتنا البيئية الحالية في أكبر أجزائها ، لأنه لم يكن لدينا الذكــاء البيئــي حول ما يدخل ضمن مصلحتنا الذاتية – بالضبط كما واجهت مــنظمات الأعمال الكثير من الاضطرابات ، لأنها فشلت في رؤية مصلحتها في إطار حساسيتها الأخلاقية . ولكن إذا اعتمدت الحركة البيئية علي الحجج القائمة فقط علي المصالح الإنسانية ، فإنها سوف تجعل خطر وضع سياسات وقوانيــن البيــئة علــي أساس الميل القوي لإنجاز مصالحنا الحالية ، وعلي أساس وجهات نظر المستهلكين ، وعلي أساس استعدادنا للدفع ، تجعله خطراً مؤبــداً . ســوف تكون هناك باستمرار رغبة . في السماح لمصالحنا قصيرة الأجــل لكــي تتفوق علي مصالحنا طويلة الأجل ، وعلي مصلحة الإنسانية ذاتهــا علي المدى الطويل ، بدون وضع بعض الأسس في الأخلاقيات البيئة الأكــثر عمقــاً مــع الالتزامات بالأشياء الطبيعية غير الإنسانية ، حينئذ يتم تشجيع الإغراء برؤية مصالحنا الذاتية بطرق مخربة قصيرة الأجل وقصيرة

الـنظر . تعمل وجهة النظر ذات التركيز البيولوجي علي غلق الطريق أمام هذا الإغراء .

الأكـثر من هذا ، توجد حالات كثيرة ، حيث ما قد يكون في صالح البشر ، لا يكون في مصلحة الأشياء الطبيعية الأخرى . تمتد الأمثلة من قتل الـنمور من أجل المعاطف الثمينة ، إلي إزالة إحدى الغابات لإنشاء " ملعب جولـف " . لسـت مقتنعاً بأن الحجج ذات التركيز علي الإنسان ، وحتى تلك القائمـة علـي مصالح الإنسان طويلة الأجل ، لها قوة تأثر كبيرة في حماية مصـالح مثل هذه الأشياء الطبيعية . قد تجرى محاولات لجعل هذه المصالح مـتطابقة ، ولكـن الـنقطة هـنا ، أن ذلك من وجهة النظر التي تركز علي الإنسـان ، بيـنما الـنمر والغابة ليس لها مصلحة مرتبطة أخلاقيا تؤخذ في الاعتـبار . قد يحدث التطابق بين مصلحة الإنسان ومصلحة الأشياء الطبيعية غـير الإنسـانية ، ولكن بمحض الصدفة ، ومن ثم يقدر ويخضع للحماية . دعـنا نـأخذ مثالاً من أعمال Christopher Stone . لنفرض أنه تم تلوث أحـد المجاري المائية نتيجة تصريف المخلفات الصناعية إلي المجري . من وجهـة النظر ذات التركيز علي الإنسان والتي يستند إليها نظامنا القانوني ، فإنـنا نستطيع تصحيح المشكلة من خلال اكتشاف بعض الأضرار التي لحقت بالبشر الذين يستخدمون المجري المائي . قد يتطلب إصلاح مثل هذا الضرر وقـف التلوث ، واستعادت المجري لوضعه السابق ، ولكن من الممكن أيضا أن تـتفق الجهـة الصـناعية مع الأفراد بتعويضهم عن خسائرهم ، ويستمر تلويـث المجري . لا يقدم مذهب التركيز علي الإنسان أية طريقة لكي يعود المجـري نظـيفا بالكـامل وباسـتمرار ما لم يكن في ذلك مصلحة للكائنات البشرية أن تفعل هذا . واختصاراً ، من الممكن أن يبيع البشر المجري بحاله للجهة الصناعية[11] .

أخيراً ، ربما الخطر الأكبر الذي يقوم به اختصاصيو التركيز البيولوجي عند استخدامهم الاستراتيجيات ذات التركيز الإنساني لتوسيع الحركة ، هو في فقدهم البصيرة الثاقبة التي يؤسس عليها اهتمامهم الأخلاقي في المقام الأول . هذا ما عبر عنه بصدق Lawrence Tribe :

- **إن ما لا قد يدركه اختصاصي البيئة ، أنه عندما يعرض إدعاءه في ضوء المصلحة الذاتية للإنسان – وذلك بتفصيل الأهداف البيئية كاملة من منظور الحاجات والتفضيلات البشرية – فإنه قد يساعد علي إعطاء شرعية للنظام الحديث عن أفكار ومشاعر البناءات الإنسانية التي تعمل ، في الأجل الطويل علي تآكل الإحساس الحقيقي بالالتزام الذي يوفر الزخم الأساسي لجهوده الذاتية في حماية البيئة**[12] .

يدير خبراء أخلاقيات منظمات الأعمال خطراً ممائلاً في إعداد ادعاءاتهم في ضوء المصلحة الذاتية لمنظمات الأعمال .

يجب أن تجد الحركة البيئية الطرق الملائمة لضم وحماية القيمة الحقيقية لحياة الحيوان والنبات ، وحتى الأشياء الطبيعية الأخرى ، والتي تعتبر أجزاء مكملة لنظم البيئة . يجب عمل هذا بدون الإقلال من شأن هذه القيم باستمرار لصالح الإنسان . سوف يكون هذا بالطبع صعباً ، لأن مفاهيمنا الأيدلوجية ، وقناعتنا الأخلاقية يسيطر عليها التركيز الإنساني . ومع ذلك ، إذا التزمنا بالمذهب الأخلاقي الذي يركز بعمق علي المدخل البيولوجي ، حينئذ يكون من الحيوي أن نحاول العثور علي طرق ملائمة لتدعيمه . يجب أن تكون البيانات ذات التأثير البيئي واضحة في إشاراتها إلي القيم الطبيعية غير الإنسانية . يجب التركيز علي الحقوق القانونية للأشياء الطبيعية غير الإنسانية كما جاء في اقتراح Christopher . يجب أيضا نشر الخطوط الإرشادية الأخلاقية المحايدة ، كتلك التي اقترحها Holmes Rolston لكي تأخذ بها منظمات الأعمال عندما تؤثر أنشطتها علي النظم البيئية[13] .

يوجد في قلب حركة أخلاقيات منظمات الأعمال ردود فعل للمعتقدات الخاطئة ، بأن منظمات الأعمال تتحمل فقط مسئولياتها تجاه مجموعة ضيقة من أصحاب المصلحة يطلق عليها المساهمين . من الأمور الجوهرية في حركة أخلاقيات البيئة الاعتقاد الخاطئ بأن المخلوقات البشرية وحدها ومصالحها الذاتية هي التي تستحق اهتماماتنا الأخلاقية أنني أشك في أن البدايات في تلك الحركتين يمكن أن نصل عند تتبعهما إلي هاتين الرؤيتين سواء في أخلاقيات منظمات الأعمال أو أخلاقيات البيئة . وبالتأكيد تكمن دلالة هاتين الحركتين في البحث عن منظور أخلاقي أكثر اتساعاً وأكثر عمقاً. إذا بدأ خبراء أخلاقيات منظمات الأعمال وخبراء أخلاقيات البيئة في الاعتماد فقط علي استراتيجيات ترويجيه للمصلحة الذاتية مثل **الأخلاق الجيدة تعني الأعمال الجيدة** ، وعلي المصلحة الإنسانية مثل مدخل التركيز علي الإنسان ، حينئذ يواجهون خطر إزالة الجسور التي تربطهم بجهودهم الأخلاقية .

أسئلة للمراجعة والمناقشة

1- ما هي المشكلات البيئية الأكثر خطورة التي تواجهنا اليوم ؟ ماذا تري من أسبابها ؟
2- قيم انتقادياً موقف Bowie . ماذا يمكن أن يقال تدعيما لهذا الموقف ؟ ما المشكلات ، في حالة وجودها ، التي تراها في موقفه ؟
3- يعتقد Hoffman أن " علي منظمات الأعمال مسئولية أخلاقية لكي تصبح شريك أكثر نشاطا في التعامل مع الاهتمامات الاجتماعية : هل توافق علي هذا الاقتباس ؟ اشرح لماذا " نعم ولماذا " لا " . هل علي منظمات الأعمال التزام للمساعدة علي حل مشكلاتنا البيئية ؟
4- هل صحيح أن الأخلاق الجيدة تعني الأعمال الجيدة ؟ إذا كانت كذلك ، ما هو الخطأ في تأسيس منظمات الأعمال علي هذه الحقيقة ؟
5- هل توافق مع Hoffman أنه من الخطر تشجيع منظمات الأعمال علي " تبني وجهة النظر أن المذهب البيئي الجيد هو في دائرة الأعمال الجيدة ؟ هل في رأيك يوجد

صراع بين المذهب البيئي والربحية ؟

6- قـارن بين المناهج ذات التركيز على الإنسان والمناهج ذات التركيز البيولوجي . ما هـي الاعتبارات التي يمكن تقديمها مع وضد كل منهما ؟ هل الطبيعة ككل أو أجزاء منها لها قيمة حقيقية في ذاتها ، أو أن قيمتها فقط تأتي من تقييم الإنسان لها ؟ إذا كانت المصلحة الأفضل للبشر هي عادة المصلحة الأفضل لباقي أجزاء الطبيعة . هل توجد أية أهمية في الجانب الذي نتبناه ؟

7- فـيما يتعلق بالمحافظة على البيئة وحمايتها ، من الذي يقوم بالدور الأكثر أهمية - الحكومة ، الفرد المستهلك ، أو منظمات الأعمال ؟

المراجع

NOTES

1. Norman Bowie, "Morality, Money, and Motor Cars," *Business, Ethics, and the Environment: The Public Policy Debate,* edited by W. Michael Hoffman, Robert Frederick, and Edward S. Petry, Jr. (New York: Quorum Books, 1990), 89.
2. See Milton Friedman, "The Social Responsibility of Business Is to Increase Its Profits," *The New York Times Magazine* (September 13, 1970).
3. Bowie, 91.
4. Bowie, 94.
5. Kenneth E. Goodpaster, "Can a Corporation Have an Environmental Con science," *The Corporation, Ethics, and the Environment,* edited by W. Michael Hoffman, Robert Frederick, and Edward S. Petry, Jr. (New York: Quorum Books, 1990).
6. Cynthia Pollock Shea, "Doing Well By Doing Good," *World-Watch* (November/December, 1989), 30.
7. *Corporate Ethics: A Prime Business Asset,* a report by The Business Roundtable, February, 1988, 4.
8. Robert Frederiek, "lndividual Rights and Environmental Protection," pre sented at the Annual Society for Business Ethics Conference in San Fran cisco, August 10 and 11,1990.
9. Richard Routley and Val Routley, "Human Chauvinism and Environmental Ethics," *Environmental Philosophy,* Monograph Series, No. 2, edited by Don Mannison, Michael McRobbie, and Richard Routley (Australian National University, 1980), 121ff.
10. See Paul W. Taylor, "The Ethics of Respect for Nature," found in *People, Penguins, and Plastic Trees,* edited by Donald VanDeVeer and Christine Pierce (Belmont, CA: Wadsworth, 1986), 178-83. Also see R. and V. Routley, "Against the Inevitability of Human Chauvinism," found in *Ethics and the Problems of the 21st Century,* edited by K. E. Goodpaster and K. M. Sayre (Notre Dame: University of Notre Dame Press, 1979), 36-59.
11. Christopher D. Stone, "Should Trees Have Standing?-Toward Legal Rights for Natural Objects," *Southern California Law Review* 45 (1972).
12. Lawrence H. Tribe, "Ways Not to Think About Plastic Trees: New Founda tions for Environmental Law," found in *People, Penguins, and Plastic Trees,* 257.
13. Holmes Rolston, III, *Environmental Ethics* (Philadelphia: Temple University Press, 1988), 301-13.

SUGGESTIONS FOR FURTHER READING

Two good surveys of business and environmental ethics are Joseph R. Desjardins, "Environmental Responsibility," in Norman E. Bowie, ed., *The Blackwell Guide to Business Ethics* (Blackwell 2002), and Thomas ~ Heyd, "Environmental Ethics and the Workplace: A Call to Action," in Robert A. Larmer, ed., *Ethics in the Workplace: Selected Readings in Business Ethics*, 2nd ed. (Wadsworth 2002). For Norman Bowie's views, see his "Money, Morality, and Motor Cars," in W. Michael Hoffman, Robert Frederick, and Edward S. Petry, Jr., eds., *Business, Ethics, and the Environment: The Public Policy Debate* (Quorum 1990). See also Joel Reichart and Patricia H. Werhane, eds., *Environmental Challenges to Business* (Philosophy Documentation Center 2000), and Amory B. Lovins, L. Hunter Lovins, and Paul Hawken, "A Road Map for Natural Capitalism," *Harvard Business Review* 77 (May-June 1999).

مطابع الدار الهندسية/القاهرة
تليفون/فاكس : (٢٠٢) ٥٤٠٢٥٩٨

opeikandl.com